

## ٢ - دعوة محمد

ترانس لاريل

الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

الكعبة :

إنها أقدم المبودات وأشرفها ، فقد ذكر المؤرخ الرومان (سيسلاني) أنها كانت في مدته أشرف المابد في العالم وأقدمها طرا ، وذلك كان قبل ميلاد السيد المسيح بأكثر من خمسين عاما . وتتكون الكعبة من البناء الذي رفع قواعده ابراهيم واسماعيل ليحج إليه الناس ذا كرين ربههم ، ( وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريقتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم )

والحجر الأسود الذي يمتد بمض المؤرخين أنه ربما كان من رجوم السماء ، فإذا سح هذا الاعتقاد ، فلا بد أن يكون قد بصر به أحد وهو نازل من الجو . والبئر زمزم التي تتبع من بين الصخر . وأي منظر ، منظر الماء ينبع من بين الحجر الصخري الأصم كأنه الحياة من الموت أو قد اشتق لها اسما ( زمزم ) من صوت تفجرها وهدير مياهها . ويتفق أكثر المؤرخين على أنها قد تفجرت من تحت أقدام هاجر زوجة ابراهيم وابنها اسماعيل بعد أن أشرفا على الهلاك ، فكانت لهم حياة وشفاء من الله

وقد عظم العرب الكعبة وقد سوا البئر والحجر الأسود منذ آلاف السنين ، إذ كانوا يحجون إليها تقربا إلى الله وعبادة له . وكان من حج القبائل أن انشئت مدينة مكة وسط هضاب مقفرة وتلال من الرمال مجدبة وعلى مسافة من البحر بعيدة ، إذ كان كثير من الحججاج يطلبون الماء فلا يجدونه ، فأنشأوا هذه المدينة ليأدوا إليها زمن الحج ، فكانت تلتق فيها التجارة

من أول يوم يلتق فيه الحجاج . وعلى مر الأيام وجد جماعة من العرب أنفسهم مجتمعين لأغراض كثيرة تتركز كلها حول الكعبة ، فأنشأوا لهم مساكن حولها وأقاموا متيمين بركتها محتمين بحرمها ، ومن هذا الوقت أصبحت مكة أهم أسواق البلاد العربية بأجمعها والركز التجاري المهم بين الشام ومصر وبين الهند ، بل بين الشرق والغرب . ولأهميتها في ذلك الوقت بلغ عدد سكانها في بعض الأحيان أكثر من مائة ألف ، بين تجار ومشتريين وموردين للبضائع وسكان أصليين . وكان يتولى أمرها جمهورية ارسقراطية عليها سمة ( دينية ) فقد كان سكانها يختارون لها جماعة من عشرة رجال ، من إحدى القبائل ليكونوا حكامها وحراسا للكعبة وسدنتها ، وكانت هذه لاشك طريقة غير سليمة . وقد انتهى هذا الأمر في أواخر الأيام السابقة لظهور النبي إلى قبيلة قريش التي منها أسرة محمد إذ أنها كانت هي التي تسكن مكة . أما بقية القبائل الأخرى ، فكانت متفرقة في أنحاء الصحراء تفصلها الواحدة عن الأخرى مسافات بعيدة من البيد والتفقر ، وكانت كل قبيلة تختار لها أميرا وربما كان هذا الأمير راعيا ، بل وكثيرا ما يكون لا عمل له إلا تطعم الطريق والإغاثة على القبائل الأخرى المجاورة . وكثيرا ما كانت الحرب تستمر سجالا بين القبائل عدة سنوات ، ولكنهم على رغم تباعدهم وشتات شملهم وما بينهم من عداوة وبغضاء ، كانوا يلتفون حول الكعبة فيجتمعون رغم اختلاف عقائدهم ، على مذهب واحد ، وهو تدبس الكعبة وتهظيمها ، على أنه كان هناك شيء يجب علينا ألا ننساه وهو أنه كان بين العرب رابطة قوية ، ألا وهي رابطة الدم واللثة التي تفوق كل الروابط والتي توحد المشاعر وتسهل للتفاهم وتشعر بالتقارب

•••

على هذا المنوال عاش العرب قرونا عديدة خاملة الشأن لا أر لهم في الحياة ولا ذكر لهم في العالم ؛ فقد وصل بهم الاضمحلال والسقوط ، أن كان يستخدمهم الفرس والرومان في محاربة بعضهم البعض في الدفاع عن مصالح تلك الأمم . غير أنه في أواخر أيامهم حدثت بينهم دواعي اختلاط ، أخذت تربطهم وتقرب بينهم ، ثم أخذت تتسرب إليهم أنباء عن أكبر حادثة

فاضلا كريم الخلق قوى اليقين فهو مسلم . وقد قيل : « إن منتهى العقل والحكمة ليس في مجرد الاذعان للضرورة ، لأن الضرورة تجعل الرء يخضع لها رغم أنه ، فلا يكون له فضل فيما يأتيه ، وكيف يكون للإنسان فضل فيما يفعله مكرها ! ولكن منتهى العقل وعين الحكمة هي اليقين بأن ما ينزل بالإنسان من حوادث الزمن هي الخير له ، وأن الله في ذلك حكمة تلتطف عن أفهامنا نحن البشر وتدق من عقولنا ، وأنه من الخطأ والحرف أن يعتقد الإنسان في نفسه القوة ويجعل من عقله الضئيل ميزانا للعالم وما يجري فيه من أعمال ، فيضع الأشياء في غير مواضعها الحقيقية ، بل يجب عليه أن يعتقد أن للكون قانونا عادلا وإن قاب عن إدراكه . ومجزع عن فهمه ، وأن الخير هو أساس الكون ، والنفع هو روح الوجود ، والصالح لباب الحياة ، عليه أن يعرف هذا ويمتقده ويتبناه في سكون وتقوى حتى لا يضل الطريق إلى الله . وهذا هو الإسلام

...

إن الإنسان يكون مصيبا وظائرا ، سائرا على الطريق الآفوم والخطئة التلى والذهب الأشراف الأطهر ، مادام متمصما بحبل الله متمسكا بقانون الطبيعة الأكبر ، غير مبال بالقوانين الوضعية السطحية والظواهر الوضعية . إن المؤمن هو الذى يتبع القانون الجوهرى الكبير ، ذلك القانون السامى الذى يعتبر قطب الرضى ومحور النظام فى الكون

وأول وسيلة يجب على من يريد أن يسير على نهج القانون الأعظم إتباعها ، الاعتقاد بوجوده ، وبأنه أصلح القوانين للحياة ولا قانون غيره يصلح لتنظيم الكون وقيادة العالم إلى الأمن والسلام مما يضمه البشر لأنهم قاصرون عاجزون . هذا هو جوهر الإسلام وروحه . وهو أيضا كان روح النصرانية من قبل ، يوم أن كان أهلها يتقنون هذا الاعتقاد

الإسلام والنصرانية دينان سماويان . ويجب علينا أن نفهم أن الأدليل السماوية تأمرنا بالتوكل على الله قبل كل شئ وأن نعلمه بقدر عظمة الكون الذى خلقه ، وتبنا لذلك يجب أن نزرع النفس عن الشهوات ونهى القلب عن الهوى والزنى ، وأن نتمرد الصبر على الأذى والأسى وأن نرضى بما قسم الله لنا وكل

وقعت فى ذلك الوقت على وجه البسيطة - وأقصد بها حياة المسيح ودعوته - فأحدثت هذه الدعوة تأثيرا ملموسا فى الأمة العربية وجمت بين كثير من قبائلها ، وكأنما أراد الله أن يكون هذا العمل إرهابا للدعوة الكبرى واليوم المشهود الذى ينتظره هؤلاء العرب ليملو ذكركم ويرفع فى الآفاق شأنهم

•••

ما أعجب أمر الكعبة وأعظم شأنها ! فهمى التى جمعت بين شتات العرب ووحدت بين مشاربهم ، وكأسمى فى هذه الآونة قائمة على قواعدها عليها الكسوة الشريفة التى يرسلها لها السلطان كل عام والتى توفد فيها المصاييح فى ليلة الهجرة لتشرف تحت النجوم المشرقة ، هى أجل أثر من آثار الماضى وخير ميراث من النساب

هذه هى الكعبة التى بول شطرها ملايين عديدة من المسلمين وجوههم من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب من دلمى إلى مراكنس ، كل يوم خمس مرات . تهفوا إليها قلوبهم وتشخص أبصارهم . إنها والله لمن أجل مراكز العمورة وأشرف أركانها

الرسول :

ما هو الإسلام ؟ . كثيرون هم الذين لا يعرفون ما هو الإسلام ، أو يتساءلون مستهزئين هذا السؤال . أما الأولون فهم مسذرون وأما الآخرون فهم حائدون . ول هؤلاء وأولئك أقول الإسلام هو أن نؤمن لأمر الله ونسلم الأمر له ونتوكل عليه ، ونعلم أن القوة كل القوة هى فى الخضوع لحكمة والاستقامة لحكمته والرضا بما قسمه لنا فى الدنيا والآخرة . ومهما بصيبتنا من شئ ، فلنعلم أنه من الله ويجب علينا أن نتقبله بنفس راضية ووجه باس ونعلم أنه الخير ولولا ذلك لما اختاره الله لنا . ( قل إن بصيبتنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) وقد قال شاعر ألمانيا « جونه » عندما عرف أن هذا هو الإسلام : « إذا كان هذا هو الإسلام وهذه تعالجه فكأننا إذن مسلمون » نعم هذا قول حق لأن كل من كان شريفا

واحتوت جدليات النصرانية وذهب كل ما لم يكن حقا ، وصار  
خطابا التهمته نار الإسلام نحوته رمادا ذهب والنار لم تذهب على  
صا المصور

• • •

نظار محمد ببصره الناقد إلى ما رواه معبودات العرب الكاذبة  
ومذاهبهم التي لا تقوم على أساس صحيح ، ونظار إلى اليهود  
وروايتهم وبراهينهم ومزاميمهم وقضاياهم وإلى النصرانية  
وجدلياتها . نظر إلى هذا وغيره بمينه الثاقبة وقلبه البصير  
الصادق وفكره المتوقد إلى جوهر الأمر وصميمه ، فقال في  
نفسه : ما هذه الأصنام التي تصقل بالزيت وتدهن فيقع عليها  
الذباب فلا تستطيع رده ، إنها خشب مسندة لا تضر ولا تنفع ،  
إنها باطل ومنكر فظيع وإعراق في الكفر بالله خالق الكون  
ومسيره ، ولكن الحق هو الله الذي لا إله إلا هو وحده  
لا شريك له ، الذي خلقنا وهو الذي يبعثنا ويميتنا ثم يحينا ،  
وبعثنا ويميتنا ، وهو أرفأ بنا منا إنه هو الرؤف الرحيم ،  
الذي خلقنا في الأرض جميعا لننتفع به ونشهد على أنه هو  
الواحد القادر الذي يجب أن يعبد ، لا إله غيره

لقد آمن العرب بالإسلام ودخلوا فيه أفواجا وانجين غير  
مكرهين ، وإن دينا آمن به أولئك العرب الوثنيون وأمكوه  
بقلوبهم وعضوا عليه بتواجدهم لجدير بأن يكون حقا وأن  
يصدق به لأنه حق لا مرأ فيه

لقد اشتمل الإسلام على مبادئ عظيمة وقواعد جلية ، وإن  
الشيء الوحيد الذي يجب على الإنسان أن يلحظه في الإسلام ،  
هو اشتغاله على روح الأديان جميعا ، هذه الروح التي تأسس  
أثوابا مختلفة وتشكل بأشكال متعددة ، ولكنها في الحقيقة  
شيء واحد

وباتباع قواعد الإسلام والتمسك بروحه يصبح الإنسان  
إماما كبيرا لهذا المبدأ الأكبر ( الكون )

على الإنسان إذا أراد الهداية ، أن يسير على قواعد الخالق تابعا  
لقوانينه لا يحاول أن يقاومها أو يداقها أو يصبث بها لأنه  
سيبوه بالفشل لا محالة لأن الله هو الذي يحفظها « إننا نحن

ما يأتينا به الله إن هو إلا يد بيضاء من الله علينا ونعمة فراه من  
نعمه على الكون التي يجب أن نحمدها ونحرفه ساجدين شكرا ،  
نحمده على كل حال ولو كان ضررا يلحق بنا فقد يكون فيه شفاء  
لنفوسنا وتطهير لقلوبنا مما بها من الشوائب والأدران ( وعسى  
أن نكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر  
لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون )

علينا أن نعرف موقنين أن عقوانا قاصرة عن معرفة شيء من  
أسرار هذا الكون الواسع ، وتبارك الله ذو الفضل والجلال ،  
وما أحرانا أن نقول دائما : « إننا بقرعة الله راضون ولو كان  
ما قسم لنا المنون »

• • •

لو تأملنا سرعة انتشار الإسلام ودخوله إلى القلوب  
وشده امتزاجه بالنفوس واختلاطه بالدماء في المروق ، ونجدنا  
من عصبيتنا البغيضة ، لنحققنا من أنه خير من النصرانية  
وأفضل تلك التي كانت منتشرة وقت ظهور الإسلام في كثير من  
بلاد العالم كالأشام واليونان وغيرها ، تلك النصرانية التي كانت  
تصدع الرأس ويحول بطلانها بين القلوب وبين الحياة  
الصحيحة ، فقد كانت قلوب معتققيها قفرا بيابا من  
المانى السامية والروحية القوية التي يمتاز بها الإسلام . لقد كان  
في النصرانية عنصر من الحق ، غير أنه كان شئلا جدا وهذا  
هو السبب الذي جعل الناس يؤمنون بها ، لأن الناس مهما  
كانوا فهم يريدون الحق ويسمون إليه ، ولكن ما إن وجد  
الإسلام حتى أصبحت النصرانية على حالها هذا كالدمى بجانب  
الأصيل

لقد جاء الإسلام والنصارى فرق وشيع يقيمون أسواق  
الجدال ، يخطى كل فريق منهم الآخر بالحجج الجائرة والبراهين  
المستطمة الباطلة . فكانوا بهذا يطمنون دينهم بأنفسهم من  
حيث يملون أو لا يملون حبا في شهوة النصر كمن يقال فيهم  
( يخربون بيوتهم بأيديهم ) جاء الإسلام على الملل الباطلة والنحل  
الكاذبة والعبادات الضالة فصحقتها ، وحق له أن يصدقها لأنها  
باطل وهو حقيقة جازجة من قلب الطبيعة الصادقة . إن الإسلام  
ما كاد يظهر حتى زالت وثنيات العرب واختفت من الوجود